بسم الله الرحمن الرحيم

اتباع الرسول ﷺ علامة حُبّ الله تعالى

قال الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

في ذكرى ربيع النّور، ومولد سـيّد الوجود، يطيب الحديث عن الحب؛ حبّ الله ورسـوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾، كأنه يقول: صـدقوا دعوى محبتكم إياي باتباع حبيبي؛ فإنه لا سـبيل إلى الوصـول إلى محبتي إلا باتباعه وطاعته، **فالنبي ﷺ هو الباب الأعظم للحب الإلهي**؛ فلا يُوصل إلى هذا الباب، ولا ينال أحد ما عنده إلا بمحبته ﷺ، ولولا محبته ﷺ ماصَلَحت محبّة أحد، وكان الجميع أدعياء، وكيف يصـحّ الإيمان والاتّباع دون الحب؟ والرسـول ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**[2]. وقال الشيخ أبو حامد: **«**محبة الله يدعيها كل واحد؛ وما أسهل الدعوى، وما أعز المعنى»[3].

والناس في الحب على مراتب، وأحباء الله هم خاصـة الناس، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾[4]، يعني أرسـخ وأثبت وأدوم، ثابتين دائمين على الإيمان في السـراء والضـراء، والرخاء والبلاء، لا يوثرون عليه سواه، وقيل معناه: «أن حبهم لله مقدم على كل شـيء»؛ كما في دعاء داود ﷺ: «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسـي وأهلي ومن الماء البارد»[5]. فأكمل محبة في مكنونات هذا الوجود ومعانيه أن تحب الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ فهذا هو الحب الحقيقي الكامل، وما عداه زيفٌ ووهمٌ.

واتباع الرسول الأطهر ﷺ سبب في محبة الله تعالى لعبده، وسبب في غفران ذنوبه.

ومن أسـباب محبة الله تعالى الكثيرة ما حكاه النبي ﷺ عن ربه سـبحانه وتعالى: «لا

---

(1) آل عمران: 31.

(2) صحيح مسلم: الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، ح44.

(3) إحياء علوم الدين: (329/4).

(4) البقرة: 165.

(5) سنن الترمذي: الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، ح3490.

يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[6]، وفيه: «من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا»[7]، وفي رواية المسند: «والله أعلى وأجل»[8].

وكان ذو النون يخرج بالليل فيقلّب نظره في السماء وينشد هذه الأبيات:

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا

قد وجدت لي سكنا ليس في هواه عنا

إن بعدت قربني أو قربت منه دنا[9]

ومن علامات محبة العبد لله تعالى: حبه لكتابه؛ كما قال سهل بن عبد الله التستري: «علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بُغض الدنيا، وعلامة بُغض الدنيا ألاَّ يدَّخر منها إلا زاداً وبُلغة إلى الآخرة»[10].

ومن علامات محبة الله أن يكون مشفقاً على عباده، رحيما بهم، حريصاً على نصيحتهم ومنفعتهم.

ومن العلامات أن يكون في حبه لله خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم؛ فيخاف أن يعرض عنه مولاه، ويحجبه عن معرفته، أو يبعده عن رحمته، وقد قال بعضهم في نظم هذه العلامات وشرحها[11]:

لا تُخدَعَنَّ فلِلمُحِبِّ دَلائِلُ ولَدَيهِ مِن نَجوَى الحَبيبِ رَسائِلُ

مِنها تَنَعُّمُهُ بِما يُبلى بِهِ وسُرورُهُ في كُلِّ ما هُوَ فاعِلُ

---

(6) صحيح البخاري (مع الفتح): (131/8) ح6502.
(7) صحيح البخاري (مع الفتح): (192/9) ح7536.
(8) مسند أحمد: (301/5) ح21374.
(9) تاريخ دمشق: (436/17).
(10) إحياء علوم الدين: (332/4).
(11) قوت القلوب: (103/2).

فـالمنع منــه عطيــة مقبولــة والفقر إكرام ولطف عــاجـل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيـب وإن ألحّ العــاذل

ومن الدلائل أن يرى متبسّـــمـاً والقلـب فيـه من الحبيـب بلابـل

ومن الـدلائـل أن يرى متفهّمـاً لكلام من يحظى لديه الســـــائل

ومن الدلائل أن يرى متقشـــفاً ولَدَيهِ مِن نَجوَى الحَبيبِ رَسـائِلُ

وأضاف إليها يحيى بن معاذ الرازي قوله[12]:

ومن الـدلائـل حزنــه ونحيبــه جوف الظلام فما لـه من عـاذل

ومن الـدلائـل زهـده فيمـا يرى من دار ذل والـنـعـيـم الـزائـل

ومن الـدلائـل أن تراه بــاكيـاً أن قــد رآه على قبيح فعــائـل

ومن الـدلائـل أن تراه مســـلماً كـل الأمور إلى المليك العـادل

ومن الدلائل أن تراه راضـــيـاً بمليكــه فـي كــل حكم نــازل

ومن الدلائل ضـحكه بين الورى والقلـب محزون كقلـب الثـاكـل

فإذا ارتقى المحب هذه المرتبة رأيت إنسانا ذاهبا عن نفسه، متصلا بذكر ربه، قائما بأداء حقوقه، ناظرا إليه بقلبه، وصــــفا قربه من كأس وده؛ فإن تكلم فبالله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله.

وأما ادعاء المحبة مع ارتكاب المخالفة فدعوى كاذبة وتجارة كاســـدة، قال ســـهل: «ليس من عمل بالطاعة صـــار حبيبا، إنما الحبيب من اجتنب النواهي»[13]، وكفى بهذا وحده معيارا لمعرفة الصادق من الكاذب؛

---

(12) قوت القلوب: (103/2).

(13) إحياء علوم الدين: (331/4).

وأنشدوا في ذلك:

تعصي الإله وأنت تظهر حبـــه   هذا لعمري في القياس بديـــــع

لو كان حبك صــادقا لأطعتــــــه   إن المحب لمن يحـــب مطيـــع

ومن اصـــطلاحات القوم المأثورة أن الحب هو الموافقة، وأعظم الموافقات وأشـــدها بالقلب؛ يعني موافقة المحب بالقلب؛ لأن المحبة تقتضـــي انتفاء المخالفة؛ فإن المحب دائما مع محبوبه، وأخرج الشـيخان عن عائشـة ﭫ قالت: «إن النبي ﷺ بعث رجلا على سـرية، وكان لا يقرأ بأصـحابه في صـلاتهم، -يعني لا يختم- إلا بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: سلوه لأي شـيء يصـنع ذلك؟ فسـألوه فقال: لأنها صـــفة الرحمن، فأنـا أحب أن أقرأهـا، فقـال النبي ﷺ: أخبروه أن الله تبـارك وتعـالى يحبه»[14].

وخرّجا أيضــاً عن أنس بن مالك ﭬ: «أن رجلاً من الأعراب أتى رسـول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى السـاعة؟ فقال: ما أعددت لها؟ فقال الأعرابي: ما أعددت لها من كبير أحمد عليه نفسي، (وفي رواية: من كثير من صلاة ولا صوم ولا صدقة) غير أني أحب الله ورسوله، فقال له رسول الله ﷺ: فإنك مع من أحببت»[15].

فإن كنت صـادقاً في حبك لله عز وجل، وأردت أن يحبك كما أحببته كحال كل محب، فلا تتوان في اتباع نبيه ﷺ، وإلا فحبك زائف عار عن وصف الصدق.

---

(14) صحيح البخاري (مع الفتح): (141/9) ح7375.

(15) صحيح البخاري (مع الفتح): (14/5) ح3688.